بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة صلاة الجمعة للشيخ بلال سلمان

عشر العتق من النار

الحَمدُ للهِ عَلَى نِعمَةِ الإسلامِ وَالإيمَان، وَعَلَى نِعمَةِ القُرآنِ وَالإحسَان، وَعَلَى نِعمَةِ شَهرِ رَمَضَان، وَعَلَى نِعمَةِ العَشرِ الأَوَاخِر، فَفِيهَا يَتَفَضَّلُ رَبُّنَا عَلَى عِبَادِهِ بِنَفَحَاتِ الخَيرَات، وَفِيهَا مَوَاسِمُ الطَّاعَاتِ وَالتَّجَلِّيَات، فَيَغتَنِمُ الصَّالِحُونَ نَفَائِسَهَا، وَيَتَدَارَكُ الأَوَّابُونَ أَوَاخِرَهَا، فَهِيَ لَيالٍ مُبَارَكَة أَوشَكَت عَلَى الرَّحِيل. وَإِنَّهَا لنِعمَةٌ عَظِيمَةٌ مِن نِعَمِ الله أَن جَعَلَ لَنَا مَوَاسِمَ خَيرٍ وَعَطَاء، نَستَجلِبُ فِيهَا رَحمَتَهُ وَمَغفِرَتَه، وَنَتَخَفَّفُ فِيهَا مِن أَحمَالِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، فَأَثقَالُ الأَوزَارِ قَد أَثقَلَتْ كَوَاهِلَنَا، وَكَثرَةُ الخَطَايَا قَد أَقَضَّتْ مَضَاجِعَنَا، وَالكَبَائِرُ قَدْ انتَشَرَتْ بَينَنَا، حَتَّى حَلَّ بِنَا البَلاءُ وَالعَذَاب، وَبَعدَ هَذَا الْمَوسِمِ الْمُبَارَكِ نَعُودُ –إِنْ نَحنُ أَحسَنَّا استِغلَالَهُ– نَعُودُ صُفرَاً مِنَ الذُّنُوب، كَمَا وَعَدَنَا رَبُّنَا وَأَعلَمَنَا بِذَلِكَ حَبِيبُنَا ﷺ، فَخَيرُ مَا فِي هَذَا الشَّهرِ العَشرُ الأَوَاخِرُ مِنه، فَلَيَالِيهِ تَاجُ اللَّيَالِي، فَقَد كَانَ نَبِيُّنَا عليه السلام يَجتَهِدُ فِيهَا مَا لا يَجتَهِدُ فِي غَيرِهَا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشرُ الأَخِيرُ أَحيَا لَيلَهُ وَأَيقَظَ أَهلَه، وَشَدَّ مِئزَرَهُ وَجَدَّ فِي عِبَادَتِه، وَاعتَكَفَ العَشرَ كُلَّه، كُلُّ ذَلِكَ تَحَرِّيَاً لِلَيلَةِ القَدر، وَكَانَ نَبِيُّنَا عليه السلام يفعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ عَامٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ الله، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخُصُّ هَذَا العَشرَ بِمَزِيدٍ مِنَ العِبَادَاتِ التِي لَم يَفعَلهَا فِي سَائِرِ الشَّهر، وَكَانَ النَّبِيُّ عليه السلام لا يَدَعُ أَحَدَاً مِن أَهلِهِ يُطِيقُ القِيَامَ إِلا أَقَامَه. وَكَانَ قَتَادَةُ رضي الله عنه يَختِمُ القُرآنَ فِي كُلِّ لَيلَةٍ مِن لَيَالِي العَشر. وَكَانَ سُفيَانُ الثَّورِيُّ رضي الله عنه يَقُول: أَحَبُّ إِلَيَّ إِذَا دَخَلَ العَشرُ الأَوَاخِرُ أَن يَتَهَجَّدَ بِاللَّيلِ وَيَجتَهِدَ فِيه، وَيُنهِضَ أَهلَهُ وَوَلَدَهُ إِلَى الصَّلاةِ إِنْ أَطَاقُوا ذَلِك. وَكَانَت بَعضُ نِسَاءِ السَّلَفِ الصَّالِحِ تَقُولُ لِزَوجِهَا بِاللَّيل: قَد ذَهَبَ اللَّيل، وَبَينَ أَيدِينَا طَرِيقٌ بَعِيدٌ وَزَادُنَا قَلِيل، وَقَوَافِلُ الصَّالِحِينَ قَد سَارَتْ أَمَامَنَا وَنَحنُ قَد بَقِينَا. وَكَانَ السَّلَفُ رضي الله عنهم يَغتَسِلُونَ وَيَتَطَيَّبُونَ وَيَتَزَيَّنُونَ لِإِحيَاءِ هَذِهِ اللَّيَالِي.

وَلَكِن لا يَكمُلُ التَّزَيُّنُ الظَّاهِرُ إِلا بِتَزيِينِ البَاطِنِ بِالتَّوبَةِ وَالإِنَابَة، وَتَطهِيرِ القَلبِ مِن أَدنَاسِ الذُّنُوب، فَإِنَّ زِينَةَ الظَّاهِرِ مَعَ خَرَابِ البَاطِنِ لا تُغنِي شَيئَاً، وَلا يَصلُحُ لِمُنَاجَاةِ مَلِكِ الْمُلُوكِ فِي الخَلَوَاتِ إِلا مَن زَيَّنَ

بَاطِنَهُ وَظَاهِرَه، لِأَنَّهُ يَعلَمُ السِّرَ وَأَخفَى، فَهُوَ لا يَنظُرُ إِلى صُوَرِنَا، وَلَكِن يَنظُرُ إِلَى قُلُوبِنَا وَأَعمَالِنَا، فَمَن أَرَادَ أَن يُنَاجِي اللهَ فَعَلَيهِ أَن يَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ التَّقوَى.

أَيُّهَا الإِخوَة: إِنَّ مِن صِدقِ إِيمَانِ العَبدِ وَدَلائِلِ تَوفِيقِ اللهِ لَهُ أَن يَقُومَ بِإِحيَاءِ لَيَالِي العَشرِ بِأَنوَاعِ الطَّاعَاتِ وَالعِبَادَات، لِيُحرِزَ لَيلَةَ القَدرِ العَظِيمَة، التِي يُرجَى أَن تَكُونَ فِي لَيَالِي العَشر، فَقَد قَالَ عَنهَا رَسُولُ اللهُ ﷺ: (التَمِسُوهَا فِي العَشرِ الأَوَاخِرِ مِن رَمَضَان) [أخرجه أبو داود] وفي رواية : (التَمِسُوهَا فِي العَشرِ الأَوَاخِرِ فِي كل وتر) [أخرجه الترمذي]، وَقَالَ فِيهَا النَّبِيُّ عليه السلام: (مَن قَامَ لَيلَةَ القَدرِ إِيمَانَاً وَاحتِسَابَاً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِه) [أخرجه البخاري] فَهِيَ لَيلَةٌ خَيرٌ مِن أَلفِ شَهر، وَهَذَا يَعنِي أَنَّ العِبَادَةَ فِيهَا تَعدِلُ العِبَادَةَ فِي بِضعٍ وَثَمَانِينَ سَنَ، وَفِيهَا نَزَلَ القُرآن، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ﴾ [القدر: ١] فَقَد أَنزَلَ اللهُ القُرآنَ جُملَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوحِ الْمَحفُوظِ إِلَى بَيتِ العِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنيَا فِي لَيلَةِ القَدر، وَوَصَفَهَا رَبُّنَا بِالبَرَكَةِ فَقَالَ سُبحَانَه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَة﴾ [الدخان: ٣] وَتَنزِلُ الْمَلائِكَةُ الكِرَامُ فِيهَا بِكَثرَةٍ لِيُسَلِّمُوا عَلَى كُلِّ مُؤمِنٍ وَمُؤمِنَة، وَالْمَلائِكَةُ لا تَنزِلُ إِلا مَعَ نُزُولِ الرَّحمَةِ وَالبَرَكَة، فَقَد قَالَ تَعَالَى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوْحُ فِيْهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْر﴾ [القدر: ٤] وَوَصَفَهَا رَبُّنَا بِالسَّلَامَةِ مِن كُلِّ سُوءٍ وَأَذَى، فَقَالَ عَزَّ وَجَلّ: ﴿سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْر﴾ [القدر: ٥] وَفِيهَا السَّلَامَةُ مِنَ العِقَابِ وَالعَذَاب، لِمَا يَقُومُ بِهِ العَبدُ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالدَّعوَات، وَفِي شَأنِهَا قَالَ سُبحَانَه: ﴿فِيهَا يُفرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيم﴾ أَي: يُفصَلُ مِنَ اللَّوحِ الْمَحفُوظِ إِلَى الكَتَبَةِ أَمرُ السَّنَة كلها، وَمَا يَكُونُ فِيهَا مِنَ الآجَالِ وَالأَرزَاق، كُلُّ أَمرٍ مُحكَمٍ لا يُبَدَّلُ ولا يُغَيَّر، وَكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا سَبَقَ عِلمُ اللهِ بِه، وَلَكِن يَظهَرُ لِلمَلائِكَةِ مَا سَيَكُونُ فِيهَا، وَيَأمُرُهُم بِفِعلِ مَا هُوَ مِن وَظِيفَتِهِم.

أَيُّهَا الأَحِبَّة: وَرَدَ عَن مُجَاهِد: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ رَجُلاً مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ لَبِسَ السِّلَاحَ أَلفَ شَهرٍ مُجَاهِدَاً فِي سَبِيلِ الله ، فَعَجِبَ الْمُسلِمُونَ مِن ذَلِكَ فَأَنزَلَ اللهُ قَولَه: ﴿لَيلَةُ القَدرِ خَيرٌ مِن أَلفِ شَهر﴾ الذِي لَبِسَ فِيهَا ذَاكَ الرَّجُلُ السِّلَاحَ فِي سَبِيلِ الله. وَورد عن مالك: أَنَّ النَّبِيَّ عليه السلام أُرِيَ أَعمَارَ النَّاسِ قَبلَه، فَكَأَنَّهُ تَقَاصَرَ أَعمَارَ أُمَّتِهِ أَلا يَبلُغُوا مِنَ العَمَلِ الذِي بَلَغَ غَيرُهُم بِسَبَبِ طُولِ العُمُر، فَأَعطَاهُ اللهُ لَيلَةَ القَدرِ مَكرُمَةً لِأُمَّتِه، وَأَخبَرَهُ أَنَّ العَمَلَ فِيهَا خَيرٌ مِن أَلفِ شَهر.

فَاللهَ اللهَ أَيُّهَا الْمُؤمِنُون، لا تَفُوتَنَّكُم هَذِهِ الفُرصَةُ العَظِيمَة، فَوَاللهِ لا يَدرِي أَحَدُنَا هَل يُدرِكُهَا مَرَّةً أُخرَى؟ فَهَا هِيَ أَيَامُ رَمَضَانَ تَتَسَارَعُ مُؤذِنَةً بِالانصِرَافِ وَالرَّحِيل، وَهَا هِيَ أَيَّامُ العَشرِ تَحُلُّ عَلَينَا لِتَكُونَ الفُرصَةَ الأَخِيرَةَ لِمَن فَرَّطَ فِي أَوَّلِ الشَّهر، أَو لِتَكُونَ التَّاجَ الخَاتِمَ لِمَن أَصلَحَ وَوَفَّى فِيمَا مَضَى. فَالعَشرُ الأَخِيرُ سُوقٌ عَظِيمٌ يَتَنَافَسُ فِيهِ الْمُتَنَافِسُون، وَمَوسِمٌ يَضِيقُ فِيهِ الْمُفَرِّطُون، وَامتِحَانٌ تُبتَلَى فِيهَا الهِمَم، وَيَتَمَيَّزُ فِيهِ أَهلُ الآخِرَةِ مِن أَهلِ الدُّنيَا، فَطَالَمَا تَحَدَّثَ الخُطَبَاءُ وَأَطنَبَ الوُعَّاظُ بِذِكرِ فَضَائِلِ هَذِهِ اللَّيَالِي، وَيَستَجِيبُ لِهَذَا النِّدَاءِ قُلُوبٌ خَالَطَهَا الإِيمَان، فَسَلَكَت الفِئَةُ الْمُستَجِيبَةُ طَرِيقَ الْمُؤمِنِين، وَانضَمَّت إِلَى قَافِلَةِ الرَّاكِعِينَ السَّاجِدِين، وَاختَلَطَت دُمُوعُ أَصحَابِهَا بِدُعَائِهِم فِي جُنحِ الظَّلام، وَرَبُّكَ يَسمَعُ وَيُجِيب، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلعَبِيد. أَمَّا الفِئَةُ الأُخرَى فَتَسمَعُ النِّدَاءَ وَكَأَنَّهُ لا يَعنِيهَا، وَتَسمَعُ الْمُؤمِنِينَ وَهُم يُصَلُّونَ وَكَأَنَّهُ لَيسَ لَهُم حَاجَةٌ فِي مَغفِرَةِ رَبِّهِم، بَل كَأَنَّهُم قَد ضَمِنُوا الجَنَّةَ وَالْمَغفِرَة، فَهَل يَتَأَمَّلُ الشَّارِدُون وَالغَافِلُون؟ وَهَل يُعِيدُ الحِسَابَ الْمُفَرِّطُون؟ هَذِهِ أَيَّامُ شَهرِنَا تَتَقَلَّص، وَلَيَالِيهِ الشَّرِيفَةِ تَتَقَضَّى، شَاهِدَةً بِمَا عَمِلنَا وَحَافِظَةً لِمَا أَودَعنَا، لِنُدعَى ﴿يَومَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ [آل عمران: ٣٠] وَيُنَادِي رَبُّنَا: (يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعمَالُكُم أُحصِيهَا لَكُم ثُمَّ أُوَفِّيكُم إِيَّاهَا، فَمَن وَجَدَ خَيراً فَليَحمَدِ الله، وَمَن وَجَدَ غَيرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلا نَفسَه) [أخرجه مسلم].

أيها الإخوة: هَذَا هُوَ شَهرُنَا قَد قَارَبَ الرَّحِيل، فَكَم مِن مُستَقبِلٍ لَهُ لَم يَستَكمِله، وَكَم مِن مُؤَمِّلٍ أَن يَعُودَ إِلَيهِ فَلَم يُدرِكه، فَهَلَّا تَأَمَّلنَا الأَجَلَ وَمَسِيرَه؟ فَإِن كَانَ فِي النُّفُوسِ زَاجِر، وَإِن كَانَ فِي القُلُوبِ وَاعِظ، فَقَد بَقِيَت مِن أَيَّامِهِ بَقِيَّةٌ قَلِيلَة. لَقَد عَرَفَ الصَّالِحُونَ قَدرَ شَهرِهِم، فَاعرِفُوا شَرَفَ زَمَانِكُم، وَاقدُرُوا أَفضَلَ أَوقَاتِكُم وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم، وَلا تُضَيِّعُوا وَقتاً فِي غَيرِ قُربَة، وَإِنَّ إِحسَانَ الظَّنِّ بِاللهِ لَيسَ بِالتَّمَنِّي، وَلَكِنَّ إِحسَانَ الظَّنِّ لا بُدَّ مَعَهُ مِن حُسنِ العَمَل، وَالرَّجَاءُ فِي الرَّحمَةِ مَعَ العِصيَانِ ضَربٌ مِنَ الحُمقِ وَالخُذلان، وَالخَوفُ لَيسَ بِالبُكَاءِ وَالدُّمُوعِ فَحَسب، وَلَكِنَّ الخَوفَ الحَقِيقِيَّ بِتَركِ مَا يُخَافُ مِنهُ العُقُوبَة، فَأَينَ الذِينَ يَتَضَرَّعُون إِلَى رَبِّهِم فِي جَوفِ اللَّيل، أَلَم تَقُل سَيِّدَتُنَا عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيتَ إِن عَلِمتُ لَيلَةَ القَدر، مَاذَا أَقُولُ فِيهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (قُولِي: اللهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفوَ فَاعفُ عَنِّي) [أخرجه الترمذي] وَالعَفُو مِن أَسمَاءِ الله، وَهُوَ الْمُتَجَاوِزُ عَن سَيِّئَاتِ عِبَادِه، الْمَاحِي لِآثَارِهَا عَنهُم، وَاللهُ تَعَالَى يُحِبُّ العَفوَ عَن

عِبَادِه، وَيُحِبُّ مِن عِبَادِهِ أَن يَعفُوَ بَعضُهُم عَن بَعض، فَعُجُّوا إِلَى اللهِ بِالدُّعَاء، فَقَد قَالَ رَبُّنَا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون﴾ [البقرة: ١٨٦] أَتَعلَمُونَ مَن هَؤلاءِ العِبَاد؟ الخَلائِقُ كُلُّهُم عِبَادُ الله، وَلَكِنَّ هَؤُلاءِ عِبَادٌ خَوَاص، إِنَّهُم أَهلُ الدُّعَاءِ وَالرَّجَاء، إِنَّهُم السَّائِلُونَ وَالْمُتَضَرِّعُون، سَائِلُونَ مَعَ عِظَمِ الرَّجَاء، وَمُتَضَرِّعُونَ فِي رَغبَةٍ وَإِلحَاح، وَإِنَّ لِلدُّعَاءِ لَشَأنٌ عَجِيبٌ وَأَثَرٌ عَظِيم، فِي حُسنِ العَاقِبَةِ وَصَلَاحِ الحَالِ وَالْمَآل، وَالتَّوفِيقِ فِي الأَعمَالِ وَالبَرَكَةِ فِي الأَرزَاق. أَرَأَيتُم لَو أَنَّ مُسلِماً وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَى فَأَدرَكَ حَظَّهُ مِنَ الدُّعَاء، وَنَالَ نَصِيبَهُ مِنَ التَّضَرُّعِ وَالالتِجَاء، فَالتَجَأَ إِلَى اللهِ فِي كُلِّ حَالاتِه، وَفَزِعَ إِلَى مَولاهُ فِي جَمِيعِ حَاجَاتِه، يَدعُو وَيُدعَى لَه، فَنَالَ حَظَّهُ مِنَ الدُّعَاءِ بِنَفسِهِ وَبِغَيرِه، أَينَ هَذَا مِن مَحرُومٍ مَخذُول، لَم يَذُق حَلَاوَةَ الْمُنَاجَاة، يَستَنكِفُ عَن عِبَادَةِ رَبِّه، وَيَستَكبِرُ عَن دُعَاءِ مَولاه؟ مَحرُومٌ سَدَّ عَلَى نَفسِهِ بَابَ الرَّحمَة، وَاكتَسَى بِحُجُبِ الغَفلَة، وَإِنَّ نَزعَ حَلاوَةِ الْمُنَاجَاةِ مِنَ القَلبِ أَشَدُّ أَلَوَانِ العُقُوبَاتِ وَالحِرمَان، أَلَم يَستَعِذِ النَّبِيُّ ﷺ مِن قَلبٍ لا يَخشَع؟ وَمِن عَينٍ لا تَدمَع؟ وَمِن دُعَاءٍ لا يُسمَع؟ فَأَهلُ الدُّعَاءِ الْمُوَفَّقِينَ حِينَ يَعُجُّونَ إِلَى رَبِّهِم بِالدُّعَاءِ يَعلَمُونَ أَنَّ جَمِيعَ الأَبوَابِ قَد تُوصَدُ فِي وُجُوهِهِم إِلا بَاباً وَاحِداً هُوَ بَابُ الله، إِنَّهُ بَابٌ مَفتُوحٌ لا يُغلَقُ أَبَدَاً، فَتَحَهُ رَبُّنَا الذِي لا يَرُدُّ دَاعِيَاً وَلا يُخَيِّبُ رَاجِيَاً، فَهُوَ غِيَاثُ الْمُستَغِيثِينَ وَنَاصِرُ الْمُستَنصِرِينَ وَمُجِيبُ الدَّاعِين.

أيها الإخوة: إِنَّ لِهَذِهِ الأَيَّامِ فَضَائِلُ تَجعَلُ الْمُؤمِنَ الحَرِيصَ عَلَى آخِرَتِهِ لا يُفَرِّطُ فِي دَقَائِقِهَا قَبلَ سَاعَاتِهَا، فَالْمُوَفَّقُ مَن وَفَّقَهُ اللهُ لاغتِنَامِهَا، جَعَلَنَا اللهُ مِمَّن وُفِّقُوا لِقِيَامِ لَيَالِي العَشر، لِنُدرِكَ العِتقَ مِنَ النَّارِ فِي لَيلَةِ القَدر.

بتصرف

مديرية أوقاف دمشق